

الذي تتعلق نتيجته. بالدرجة الأولى، بمؤشرات الميزان العسكري. ولذا، فإن كل جانب يسعى، مقدماً، إلى إضعاف الميزان العسكري للجانب الآخر بعدة طرق أهمها أعمال القتال، سواء كانت محدودة أو شاملة، أو إلى تفريق الجانب المضاد بحيث يمكن التفاوض مع هذا الجانب على خطوات يكون فيها ميزان القوى لصالحه. وقد اتبعت إسرائيل هذا الأسلوب مع العرب العام ١٩٤٩ عند عقد اتفاقات الهدنة، وبعد العام ١٩٧٣ عند إبرام اتفاقيات الفصل بين القوات، واتفاقيات كامب ديفيد؛ كما اتبعتها في الصراع المسلح ذاته حينما كانت تقابل كل جيش عربي على حدة في غياب تعاون عسكري عربي كاف، والافتقار إلى التنسيق بين أعمال الجيوش العربية.

تقوم إستراتيجية إسرائيل في التفاوض مع العرب على أسلوب تقسيم الجانب المضاد إلى أقسام صغيرة تحتفظ لنفسها فيه دائماً بالتفوق. ويبدو هذا، أول ما يبدو، في إصرارها على المفاوضات المباشرة؛ إذ ترمي هذه الاستراتيجية إلى إخراج القوى الدولية المساندة للعرب من الميزان. ويبرز في هذه القوى، أساساً، قوة الاتحاد السوفياتي، والصين الشعبية، وما تمثلانه على صعيد المساندة العسكرية. وهي تنصوّر أن قبول الأطراف العربية بالمفاوضات المباشرة مع إسرائيل، بما يعنيه ذلك من استبعاد هذه القوى من جهود التسوية، يمكن أن يضعف الدعم العسكري الذي تلقاه الأطراف العربية منهما، بينما تحتفظ هي بتحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية - التي أصبحت شريكاً في عملية السلام - إلى جانبها - بما يشكله ذلك من ثقل عسكري ضخم يجعل الطرف العربي المفاوض، في الجانب الآخر، شديد الضعف بالنسبة إليها. ويحتم عليه قبول شروطها أو العودة إلى الصراع المسلح. وليس طرح إسرائيل إعادة العلاقات بين موسكو وتل أبيب كشرط لمشاركة السوفيات في جهود التسوية إلا محاولة ترمي، بالدرجة الأولى، إلى إقصائهم عن هذه الجهود؛ أو، وفي حال أعيدت العلاقات، فاتها لا بد أن تؤثر بشكل سلبي في العلاقات العربية - السوفياتية، والدعم السوفياتي للعرب.

على أن المفاوضات المباشرة لا تقتصر على ذلك، بل أنها، أيضاً، تتيح لإسرائيل الانفراد بكل دولة عربية على حدة بحيث ترجح الميزان لصالحها دائماً، وتخلق فرصاً أكثر للاختلاف العربي، وتعمق الخلاف بين دول المواجهة ودول الدعم بحيث تضعف احتمالات انقلاب الميزان ضدها. وإذا كان الاستثناء الوحيد في ذلك هو إصرار إسرائيل على التفاوض مع الأردن، وكأنها تهدف إلى تجميع الشعبين الفلسطيني والأردني، فإن هذا يرجع، أولاً، إلى أسباب جيوسراتيجية سيجري بحثها فيما بعد، بالإضافة إلى أنه في الحقيقة يثير الخلاف بين الفلسطينيين والأردن؛ ثم هي تثير الخلاف بين الفلسطينيين أنفسهم بمحاولة التفريق بين فلسطينيين منتمين إلى منظمة التحرير الفلسطينية وآخرين غير منتمين إليها، وفلسطينيين إرهابيين وآخرين معتدلين، وفلسطينيين داخل الأراضي المحتلة وآخرين خارجها، بحيث يتفقت ميزانهم العسكري. كما تبدو استراتيجية إسرائيل واضحة في بدء التسوية مع الأردن والفلسطينيين قبل التسوية مع سوريا، بحيث تبدو سوريا، في النهاية، وحيدة باختيار عسكري محدود وبميزان عسكري أقرب إلى التوازن رقمياً، مع احتمال تفوق نوعي إسرائيلي يحقق تفوقاً عاماً لإسرائيل عليها.

وعلى العكس من ذلك، نجد أن القوى العربية تسعى إلى إجراء التسوية من خلال مؤتمر